موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء

The attitude of the Holy Quran on poetry & poets

Dr. Amin Ali
PhD Arabic, NUML
E-mail: alimudassir1984@gmail.com
Orcid: https://orcid.org/0000-0001-7543-9489

Dr. Muhammad Qasim Junaidi
Lecturer, Department of Islamic and Arabic Studies
University of Swabi – Swabi
E-mail: qasimjunaidi2014@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0009-0001-7811-410X

Abstract
The Arabs were famous for their eloquence, narrations, and the quality of poetry. They loved poetry, organizing it and narrating it in their assemblies and clubs, in every way. And while they are like that, when ALLAH sent among them Muhammad (SAWW) among the most eloquent of all the Arab tribes, the Quraysh tribe, to which the Arabs used to rule in poetry systems. The good of it is what Quraysh accepted, and the bad of it is what Quraysh rejected. The Arabs excelled in poetry systems and exaggerated their attachment to it, and it is almost the most prominent cultural aspect of the pre-Islamic environment, but Islam came with a purposeful revolution. To refute the bad pre-Islamic concepts, and to make people adhere to tolerant Islamic principles, and he was exposed to poetry as well, so he accepted what called for monotheism and virtue from him, and denounced what called for evil and vice, and was a cause for incitement to obscenity and false sayings and raised hatreds and national fanaticism. Likewise, the Prophet (SAWW) had positions on poetry. He despised his fall and his badness and what carried the meanings of evil, and he listened to poetry that served the Islamic call, and called for virtuous morals, but rather was affected by hearing it, encouraged its systems, permitted poets, and had critical opinions towards some poems and poets. This research is the reviews of the Holy Quran about poetry and poets, and some related topics.
Keywords: Holy Quran, Attitude, Poetry, Poets.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، أما بعد

فقد اقتضت حكمة الله –سبحانه وتعالى– أن يرسل إلى كل أمة نبياً يدعوها إلى الإيمان بالله – سبحانه وتعالى– ويعضده بمعجزات من جنس مابرع فيه قومه، فلما اشتهر قوم موسى –عليه السلام– بالسّحر؛ أجرى الله على يده معجزات تتناسب و تفكير قومه؛ وأعطاه معجزة العصا واليد البيضاء.

ونبغ أهل زمان عيسى –عليه السلام– في الطّب؛ فآتاه الله معجزات متجانسة لذلك، فجعله يبرئ الأكمه والأبرص، ويُحيي الموتى بإذن الله –سبحانه وتعالى–.

أما العرب فاشتهروا بالفصاحة والبلاغة وجودة البيان، ديدنهم الشعر، ينظمونه ويروونه في مجالسهم ونواديهم، في كلِ شاردة وواردة، هو ديوان حياتهم وسجّل أيامهم، ومقياس الرّفعة أو الضّعة، وهو ملجأ العربي ليبث عبره خلجاتً نفسه، وحديث روحه، إذا عشق أو طرب، إذا شرب أو ركب، به يمدح ويهجو، ويرثي ويشكو، وبينما هم كذلك إذْ بعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم في أفصح قبائل العرب قاطبة، قبيلة قريش التي كانت العرب تحتكم إليها في نظم الشعر، فالجيد منه ما استجادته قريش، والرديً منه ما ردته قريش، وكانت معجزة محمد القرشي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم كلام رب العالمين، الذي أبهر فصحاء العرب، وعجزوا عن مضاهاته، وشغلوا به عن الشعر، وشغفوا بحلاوته حباً، ولاغرو فهو تنزيل من حكيم عليم.

وكان كبراؤهم يتسمعون –وهم فرادى متخفين عن قومهم– للقرآن الكريم وهو يتلى، ويقولون: والله ما هو بشعرٍ؛ لشدة تأثيره في نفوسهم، وإعجابهم به، وعدم مقدرتهم على الإتيان بمثله، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن شاعرا؛ لا لنقصٍ فيه ولا لعجزٍ، ولكن لحكمة من الله سبحانه وتعالى، وهي له صفة كمال ومدحٍ، قال سبحانه سبحانه وتعالى: ﴿وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له إنْ هو إلا ذكْرٌ وقرآنٌ مُبينٌ﴾[1] لكنه صلى الله عليه وسلم كان ناقداً حاذقاً، خبَيراً بفنون القَول وضَروب اَلبيانَ، يستمع إلَى الشعر الحسنِ أحياناً، ويجيز جيده، ويقيم معوجه، ويتأثر لسماعه، بل يستنشد أصحابه الكرام –رضي الله عنهم– أحياناً جيد الشّعر الجاهلي.

نبغ العرب في نظم الشعر وبالغوا في التعلق به، ويكاد يكون المظهر الثقافي الأبرز للبيئة الجاهلية، ولكن جاء الإسلام بانقلاب هادف؛ لينقض المفاهيم الجاهلية السيئة، ويحمل الناس على المبادئ الإسلامية السمحة،

وتعرضٍ للشعر كذلك، فقبل منه ما دعا إلى التوحيد والفضيلة، وذم منه ما دعا إلى الشر والرذيلة، وكان مدعاةً للحض على الفحشَ وساقط القول، وأثار الأحقاد والعصبيات القومية.

وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مواقف حيال الشعر؛ استقبح ساقطه ورديئه وما حمل معاني الشر، واستمع إلى الشعر الذي خدم الدعوة الإسلامية، ودعا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، بل تأثر لسماعه، وشجع على نظمه، وأجاز الشعراء، وكانت له آراء نقديةٌ تجاه بعض الأشعار والشعراء.

ويرى بعض الأدباء والنقاد أن الشعر في صدر الإسلام ضعف واضمحل، وأصابه الركود؛ بسبب مجيء الإسلام، وهيمنة القرآن الكريم على عقائد الناس وثقافاتهم.

كل هذه القضايا جديرةٌ بالبحث؛ لمعرفة موقف الإسلام من الشعر ونظرته إلى الشعراء، المتمثل في نظرة القرآن الكريم.

وفي هذا البحث أستعرض حديث القرآن الكريم عن الشعر والشعراء، وبعض الموضوعات المتعلقة بذلك.

لو نتتبع كلمة (الشعر) أو (الشعراء) في القرآن الكريم؛ فسنجد أنها وردت في مواضع ستة، في خمسة منها يحكي لنا القرآن الحكيم ما حاول مشركو قريش أن يلصقوه بنبي الله صلى الله عليه وسلم من اتهامات باطلة، ونعتوه بصفات طائشة كاذبة.

فبعد أن استمع المشركون إلى آيات القرآن الكريم، وأدركوا روعة بيانه، وتأثيره في العقول، واستحواذه على النفوس؛ أخذوا يتخبطون في وصفه، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم وحاولوا في استماتة أن يلصقوا التهم الجزاف بالقرآن الكريم، وبالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لتنفير الناس عنهما، واختلقوا الادّعاء تلو الادّعاء، في حيرة واضطراب من أن القرآن سحرٌ وكهانةٌ، وأضغاثُ أحلام، وافتراءٌ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ساحِر ومجنونٌ وشاعر... مع أنهم علموا علم اليقين أنهم يخادِعون أنفسهم، وأن ادعاءاتهم وتهمهم للقرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم تهم كاذبةٌ مختلقةٌ، لا تمت إلى الحقيقة بأدنى صلة، وهذا ما شهدت به صناديدهم؛ إذ كيف تخفى بلاغة القرآن الكريم على رجالات قريش؟! وهم أفصح العرب وأئمة القول والبيان؟! يحتكم إليهم فحول شعراء الجاهلية في الأسواق الموسمية ونواديها، مثل: عكاظ[2]، وذي المجاز[3]، والمجنّة[4]، ويصدرون عن آرائهم، بل لا ينشدون قصائدهم على الملأ قبل أن تعرض على قريش.

فرد الفرقان الحميد على هذه الافتراءات الكاذبة التي حاول المشركون أن يفسروا الوحي بها، فقام القرآن الكريم بنفي ما ادعوه من وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، ووصف كلام الله

الذي نزل عليه بأنه شعر، وهذا ما اعترف به عليه القوم منهم، فحين قال مشركي مكة للوليد بن المغيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم:

" نقول: إنه كاهن، قال: والله ما هو بكاهنٍ، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه! قالوا: فنقول: مجنونٌ، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته! قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعرٍ، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه وبسيطه، فما هو بالشعر!". (5)

وهكذا المروي في إسلام أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– عندما تحدث له أخوه، وكان شاعرا أيضا: بأنه قد لقي رجلا على دينه، وهو الرسول من الله بزعمه، والناس قد سماه بالصابي، فسأل أبو ذر الغفاري: ماذا يقول الناس فيه؟ فأجاب: بأن الناس يتهمونه بالكذب والسحر والشعر، وقد سمع أخ أبي ذر قوله، فأشهد بأنه ليس كذلك بل صادق في القول، وفي رواية: لقد وضعت قوله على أقراء الشعر (قوافيه) فلا يلتئم على لسان أحد، أي: على طرق الشعر وبحوره،(6) وفيما يلي ذكر لكل موضعٍ مع أقوال المفسرين فيه:

الموضع الأول: قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بل هو شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾.(7)

في هَذه الآية الكَريمة تصوَير بديع لموقف المشركين تجاه الفرقان الحميد، حينما أنزله الله –سبحانه وتعالى– على رسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم ، فتضاربت آراء المشركين فيه؛ عناداً واستكباراً، ورموه بشتى التهم الملفقة، من أنه كالأحلام المختلطة التي ليس لها تفسير، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم اختلقه من تلقاء نفسه ونسبه إلى الله –سبحانه وتعالى–، وأنه شاعر، ولاشكّ أن هذا التخبط والتناقض الصريح في تُهَمهم يُنبئ عن حيرتهم وانبهارهم بسماع آيات القرآن الكريم.

ويصور سيد قطب هذهَ الآيةَ بقوله:

(ولقد حاروا كيف يصفون هذا القرآن؟! وكيف يتقونه؟! فقالوا: إنه سحر! وقالوا: إنه أحلام مختلطةٌ يراها محمدٌ ويرويها! وقالوا: إنه شعر! وقالوا: إنه افتراه وزعم أنه وحي من عند الله! ﴿بل قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ﴾ ولم يثبتوا على صفة له، ولا على رأيٍ يرونه فيه؛ لأنهم إنما يتمحلونَ، ويحاولون أن يعللوا أثره المزلزل في نفوسهم بشتى التعلّات، فلا يستطيعون؛ فينتقلون من ادعاء إلى ادعاء، ومن تعليلٍ إلى تعليلٍ، حائرين غير مستقرين). (8)

ونقف هنا وقفة تأملٍ، ونتساءل: لماذا وصف المشركون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر؟! وهم أدرى الناس بالشّعر، وأن آيات القرآن الكريم ليست كذلك؟!

والجواب: أنّ هذا قول عوامهم؛ لأن كبراءهم ماكان ليخفى عليهم أن النّظم القرآني ليس كنظم الشّعر، بل كانوا أبصر النّاس بالشّعر وقوله.

يقول ابن عطية:

(ثم حكى من قال: قول شاعرٍ، وهي مقالةُ فرقة عامّية منهم؛ لأنّ نبلاء العرب لم يَخْفَ عليهم – بالبديهة– أنّ مباني القرآن ليستْ مباني شعرٍ). (9)

ويحتمل أن يكون وصفهم لسيد الخلق صلّى الله عليه وسلم بأنه شاعر؛ لكونه فصيحاً بليغاً، لأقواله تأثير ووقع في النفس البشرية، كما أنّ الشّعر كذلك.

ويحتمل أنهم وصفوه بكونه شاعراً؛ لأنّ الشّاعر يقول ما لايفعل، ويدعي ماليس فيه، ويتخيل المعاني الخيالية الزائفة التي ليس لها وجود حقيقيٌّ على أرض الواقع، فأرادوا أن يشبهوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد بأنها أقرب إلى خيالات الشعراء الزائفة التي ينسجونها من محض الخيال.

ويقول جار الله الزمخشري:

(أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلامٍ، ثم إلى أنه كلامٌ مفترىً من عنده، ثم إلى أنه قول شاعرٍ، وهكذا الباطل لجلج، والمبطل متحيرٌ رجّاعٌ غير ثابت على قول واحد.

ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله سبحانه وتعالى لأقوالهم في درج الفسّاد: وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث). (10)

ويقول أبو محمد البغوي في تفسيره:

(إن المشركي مكة قد اقتسموا القول فيه وفيما يقوله، فقال بعض منهم: أضغاث أحلام، وقال بعضهم: بل هو فرية، بعضهم قال: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر.)(11)

وفي تفسير ابن عرفة:

(قوله سبحانه وتعالى: (بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ)، هذا تَرَقٍّ، قولهم: (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) أشد من قولهم فيه: إنه ساحرٌ، وقولهم: إنه مفتر أشد من قولهم (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ)، وقولهم (شَاعِرٌ) أشد؛ لأن الشاعر غالب أمره يقول ما لَا يفعل). (12)

ويبين الأديب الكبير الأستاذ/ أحمد شاكر رحمه الله السبب في إطلاق هذه الأوصاف على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه في الفكر العربي القديم قد التصق تصور النبوة بأشياء عديدة منها: الجنون، والشعر والكهانة والسحر، فالمتصف بالجنون أو الكهانة في غالب الأحيان كان يتنبأ عن أمور المستقبل، والمتصف بالشعر أو السحر يأتي بالتي تبهر الناس وتسلب عقولهم، الشاعر بالبيان والساحر بشعوذته، فزعم فيهم بأن هناك لا بد من علاقة الشيطان معهم وهو يروي لهم ويملي عليهم، وفيه دليل قول عائشة –رضي الله عنها– عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إنّ الملائكة تتحدّث في العنان –العنان هو الغمام– بالأمر في الأرض، فتسمع الشّياطين الكلمة، فتقرها في أذن الكاهن –أو الساحر– كما تقرّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة".[13]

وكذلك نجد قول الوليد بن المغيرة بعد ما سمع كلام الله على لسان نبيه صلّى الله عليه وسلم في صد الوافدين من قبائل العرب عن النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام: "والله لقد سمعت كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن؛ إنّ له لحلاوةٌ، وإنّ عليه لطلاوةٌ، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدقٌ، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه".[14]

رغم ذلك كان الوليد من زعماء مشركي قريش بل على رأسهم في البيان والتدبير، فلم يمكننه الكتمان بإعجابه بالقرآن الحكيم وانبهاره بأنه معجز في البيان والأسلوب والمضمون، فلما وصل الخبر إلى أبي جهل فخشي عليه، فبدأ يغريه بالمال والجاه، واضطره بمكيده أن يرجع من قوله السابق، فبعد تفكر عميق وتدبر غائر قال: "لقد سمعت الشّعر رجزه وهزجه؛ وقصيده وسجع الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه؛ وما هو بالشّعر، وإنّ أقرب القول أن نقول فيه أنّه ساحر جاء بسحرٍ".[15]

ويقول الكفوي:

(والشاعر فِي الْقُرْآن عبارَة عَن الْكَاذِب بالطبع، ولكَون الشّعْر مقرّ الْكَذِب؛ قيل: أحسن الشّعْر أكذبه، وَقَالَ بعض الْحُكَماء: لم ير متدين صَادِق اللهجة، مفلّقاً فِي شعره، وإنّمَا رموه بالشعر حَتَّى قَالُوا: بل هُوَ شَاعِر، يعنون: أَنه كَاذِب، لَا أَنّه أَتَى بِشعر منظوم مقفّى، إِذْ لَا يخفى على الأغبياء من الْعَجم –فضلاً عن بلغاء الْعَرَب– أَن الْقُرْآن لَيْسَ على أساليب الشّعر، وَقَوله عليه السلام: (أَنا النَّبِي لَا كذب ... أَنا ابن عبد الْمطلب)[16] وَقَوله: (هل أَنْت إِلَّا إصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت) قد صدر من غير قصد وتكليف منه بل اتفاقي فقط، وقد يقع مثله كثيراً فِي تضاعيف الْمَنْشُورَات).[17]

الموضع الثاني: قول الله – سبحانه وتعالى-: ﴿والشُّعراء يتَّبعهم الْغاوونَ ۝ أَلَمْ تر أَنَّهم في كُلِّ وادٍ يهيمونَ ۝ وأَنَّهم يقولُونَ ما لَا يفعلُونَ ۝ إلَّا الَّذين آمَنوا وعملُوا الصَّالحَات وذَكَروا اللَّه كثيرا وانْتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلَم الَّذين ظَلَموا أَيَّ مُنْقلَب ينقلبونَ ۝﴾[18]

هذا هو الموضع الوحيد الذي فيه للقرآن موقف خاصٌّ من الشعر والشعراء، حيث صرحت الآيات الكريمة بذكر الشعراء، وأبانت عن موقف القرآن الكريم منهم، وكشفت الغطاء عن كنههم وصفاتهم، وصورت ذلك في تصوير خلّاب، وأصدرت الحكم على عموم الشعراء، ثم استثنت في النهاية الشعراء المؤمنين، وقد سميت السوَرة (سورة الشعراء)؛ لورود ذكرهم وحالهم في ختام السورة.

فقد ذكر القرآن الكريم الشعراء في معرض الذم والقدح، فالشاعر –في الغالب– إنسانٌ سليط اللسان، عديم المسؤولية، يقول ما يريد دون رقابة تمنعه، ولا وازع من خلق أو دين يردعه، يخالف قولُه فعلَه، ديدنه الكذب، وادعاء ما ليس فيه، ليس له هدفٌ سام ولا غرضٌ نبيل في الحياة كي يسعى لنيله وتحقيقه، بل هو هائم على وجهه، تراه في كل ناد وواد، يتبعه السوقة والسفلة من أفراد المجتمع، الذين فتنوا بالشعراء و شغلوا بشعرهم، وحادوا عن الجادة إلى سبل الغواية، والشاعر يهجو إذا سخط و منع العطاء، ويمدح إن رضي ومنح، ويتغزل بمن حسنت في بصره وهام بها قلبه من الحرائر، دون أن يلقي لمكانتها بالاً، ولا أن يراعي حرمتها وعفتها.

ثم استثنى القرآن الكريم من هؤلاء الشعراء المذمومين طائفة الشعراء المؤمنين، الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، واعتضدوا بفعل الأعمال الصالحة، ولم يشغلهم الشعر عن ذكر الله سبحانه وتعالى ، بل سخروه للدفاع عن الدين، ونصرة المظلومين، والنضال عن الحق، وصد هجمات الباطل، وكبت جماحه وبيان زيفه.

فهؤلاء الشعراء المؤمنون أهل للمديح والإطراء، وقد نظر إليهم القرآن الكريم نظرة إعجاب ورضاً وتأييد –كما يبدو من مفهوم المخالفة– للحكم السابق الذي استثنوا منه؛ لأنهم استغلواً الشعر لنصرة الحق، وإشاعة الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، وتحقيق العدل، ورفع الظلم؛ فكانوا بذلك مشاعل نور وأداة بناء لا معولَ هدم وأداة تخريب.

والمقصود بالشعراء في هذا النص هم شعراء مشركي العرب الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء والأذى، بدليل استثناء الله –سبحانه وتعالى– للشعراء المؤمنين: ﴿إلَّا الَّذين آمَنوا

وعملوا الصَّالحات وذَكَروا الله كَثيراً وَّانْتصروا من بعد ما ظُلموا﴾ كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضيَ الله عنهم.

أو المقصود بهم: أولئك الشعراء الذين لم يسخروا شعرهم لخدمة الدين، ولم يحمل في طياته أغراضاً نبيلة كي ترقى بسلوك المجتمع وثقافته.

وبناء على هذا؛ نستطيع أن نقول: إنّ موقف القرآن الكريم من الشعر – تأييداً أو رفضاً – نابع من الشعراء أنفسهم، هل هم دعاة إلى الحق، منافحون عنه، قد سخروا الشعر للذود عن حمى الدين، والدعوة إلى التوحيد والحق والفضيلة؟!

أم هم صادون عن سبيل الله سبحانه وتعالى، أعداء للدين والحق، دعاة إلى الشر والرذيلة؟!

إن الإسلام أعطى الشاعر حرية واسعة في تناول فنه، ولم يعتبره عبداً لا يفعل إلا ما يملى عليه دون إرادة، لم يسلبه حرية الموقف الشخصي، وحرية التفكير والتعبير، ولكن دعاه إلى التزام السلوك الاجتماعي المقبول، بأن لا يؤذي غيره، وأن يتحمل عواقب أقواله وأفعاله.

وقد جاء في تفسير (صفوة التفاسير) عن سبب تسمية السورة بأنها سميت بسببين أخبار الشعراء والرد على مشركي مكة نظرة إلى زعمهم الباطل في تسمية النبي عليه السلام بالشاعر وكلام الله سبحانه وتعالى بالشعر.[19]

أما في تفسير هذه الآيات فقد أشار الإمام الطبري إلى الأمور المختلفة بأن الله سبحانه وتعالى وصف الشعراء بأوصاف الطيش، والسفه، والغواية، والغلو في الكلام، والبعد عن طريق الرشاد والحق، ويوجد التضاد والتناقض بين أقوالهم وأعمالهم، وقد ذم الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات شعراء المشركين.[20]

عندما رفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء الإسلام حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة — رضي الله عنهم – بعد نزول ذم الشعراء باكون، بأنهم هم الشعراء وقد ذم الله سبحانه وتعالى الشعراء كلهم من دون التفريق، فأنزل الله وحياً، فتلا النّبيّ– صلى الله عليه وسلم –: ﴿إلّا الّذين آمنوا وعَملُوا الصَّالحَات واذَكَروا اللَّه﴾.

يقول الَزمخشَري في تفسيرَ هذه الآياتَ الكريمة وإعرابه: أن قول الله عز وجل ﴿والشُّعراء﴾ يقع مبتدأ، وقوله ﴿يتَّبعهم الْغاوونَ﴾ خبر المبتدأ، أن من اتصف بأوصاف السفاهة والجنون والغواية والشطارة يتبع هؤلاء الشعراء، فيسلكون طرق الهجاء الباطل، وتمزيق أعراض المسلمين، والغزل الحرام،

والقدح في أنساب الناس، وقيل في معنى الغاوون بأن المراد منه الشياطين، وقد استثنى الله سبحانه وتعالى منهم شعراء الإسلام الصالحين الذين يقصدون رضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويتلون كتاب الله، ويكثرون في ذكر الله، ويوافق شعرهم الحق والحقيقة، فتوجد في شعرهم ألوان التوحيد، والثناء عليه، والحكمة البالغة الإسلامية، وموعظة الناس، والتقوى، والآداب الفاضلة، ومدح الإسلام ونبي الله والمسلمين، فمعاني شعرهم لا تشوب بالسفاهة والشطارة والذنب والغواية. (21)

وكذلك الإمام البغوي فسر الآية الشريفة بأن الله سبحانه وتعالى أراد بالشعراء شعراء الكفار والمشركين الذين يطيلون ألسنتهم في هجو رسول الله صلى الله عليه وسلم(22).

ويقول أيضاً متصلا: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية: في كل لغو يخوضون، وقال مجاهد: في كل فن يفتنون، وقال قتادة: يستمون الباطل ويمدحون ويهجون به، فالوادي مثل فنون الكلام، حيث يقال: أنا في واد وأنت في واد، وكذلك قيل: (في كل واد يهيمون)، أي على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي. (23)

وكذلك نقل محمد علي الصابوني قول الحسن البصري في رائعته ((صفوة التفاسير))، بأن أوديتهم التي يخوضون فيها على مرأى العين في شعرهم، فترى واد من الشتيمة وواد من المديحة وواد من الهجاء وواد من المدح المطلق، وواد في الغزل والتشبيب والنسيب، وكذلك قال قتادة فيهم نقلا عن عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما –: بأنهم يكثرون فيما ليس لهم ومنهم، فهم يحتجون بالأقوال والأفعال التي لم تصدر عنهم.(24)

وذكر ابن تيمية — رحمه الله – حكمةً جيدةً لذكر الحديث عن الشعراء في ختام السورة، بعد الحديث عن الشياطين وقرنائهم؛ فقال: (فذكر الفرق بينه وبين من قال: تنزل عليه الشياطين، من الكهان، وبين الشعراء؛ وسببه بأن الكاهن يأتي بالأخبار والأنباء بكلام مسجوع، والشاعر يبهر النفوس بالكلام المنظوم، فالكاهن يستعين من الشيطان في كذبه وفجوره، فمادة قوله من الشيطان، أما الشاعر وإن كان مادة شعره من نفسه؛ لكن ربما يستعين من الشيطان في المضمون والمعاني السيئة، فالشيطان ينزل على من يناسبه في الطبيعة والفطرة السيئة، فيجد الغاوون عند هؤلاء ما يحرك نفوسهم ويقربهم إلى ميلانهم فيتبعهم في الهوى والغواية والكذب والفجور، أما كلام الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم جل وعلا من هذا، وقد جمع في كلمة الشياطين فرقتين من الجن والإنس.(25)

سبب نزول الآية: هذه الآية نزلت في شعراء المشركين عندما أظهروا ما في باطنهم المشابهة والمشاكلة في الكلام بينهم وبين كلام الله سبحانه وتعالى، وكانوا يفتخرون بالهجاء وجمع الأعراب عندهم واستماع كلامهم وأهاجيهم في الأشعار، فهم اللذين مرجع قول الله (الغاوون) يتبعهم مثلهم.

قال الفراء: (نزلت في ابن الزبعرى وأشباهه؛ لأنهم كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، يتبعهم غواتهم الذين كانوا يرون سب النبي صلى الله عليه وسلم). (26)

ويقول الفخر الرازي: (ثم إن الله تعالى لما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة؛ بياناً لهذا الفرق– استثنى عنهم الموصوفين بأمور أربعة:

أحدها: الإيمان، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿إلا الذين آمنوا﴾.

وثانيها: العمل الصالح، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وعملوا الصالحات﴾.

وثالثها: أن يكون شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق إلى الحق، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وذكروا الله كثيراً﴾.

ورابعها: أن لا يذكروا هجو أحد إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾). (27)

في هذه الآيات المباركة وضح القرآن الكريم أن الشاعر هو الذي يحدد مساره الشعري الذي يسلكه، أهو مسار الدين والأخلاق الفاضلة؟! أم مسار الغواية والضلال وفحش القول؟!

فالشعر ليس قبيحاً لذاته، بل هو ضرب من القول، وقالب فنيٌّ يصوغ فيه الشاعر المعاني في حسنٍ وبراعة، فحسن الشعر أو قبحه مرهونان بحسن القول أو قبحه.

وغاية الشعر الحسن ليس المصلحة الذاتية والأهواء الشخصية، ولا الانتصار للقبيلة أو الجنس، وإنما هو الانتصار للحق وللمبادئ التي ينبغي أن تسخر لها الطاقات، وتجند لها الأقلام.

يمكننا بعد هذا العرض أن نقوم باستنتاج أن القرآن الكريم قد قام بتمييز الفريقين من الشعراء:

الأول: فريق من المشركين والكفرة الذي استغل فنه واستخدمه ضد الإسلام وفي معان تنافي الدين والآدابه الفاضلة، وهذا هو الفريق قد عابه القرآن الكريم وهو الذي يحارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والثاني: فريق من المسلمين قد اتجه بشعره إلى نصرة الدين المتين الإسلام، وقد اتجه هذا الفريق بشعره إلى الحق وعمل الخير، فأخرجه الله سبحانه وتعالى من وصف الغواية والطغيان، وأيده بنصره وقوته.

فالقضية في حسن الشعر وقبحه، ومدحه وذمه من قبل الله تتعلق بمعاني الشعر وأغراضها، ولم تتعلق بالشعر نفسه، لأنه ذو حدين وسلاحين أي الخير والشر، والحق والباطل، والهداية والغواية.

الموضع الثالث: قول الله – سبحانه وتعالى-:﴿وما علَّمناه الشِّعرَ وما ينبغي لَه إنْ هو إلَّا ذكْرٌ وقُرآنٌ مبينٌ۝ لينذر من كانَ حيًّا ويَحقَّ الْقَوْلُ علَى الْكافرينَ۝﴾.[28]

في هَذه الآيات الكَريمة ينفي الله – سبحانه وتعالى– عن النبي صلى الله عليه وسلم نظم الشعر، فلا يتهيأله نظم الشعر، ولا يليق بمقامه العظيم؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– شرفه بحمل كلامه القرآن الكريم، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً!.

يقول الواحدي في تفسيره: (قال ابن عباس: يريد ما ينبغي له الشعر، ما كان يروي بيت شعر ولا يقومه مستقيما، قال أبو إسحاق الزجاج: وما يتسهل ذلك، وأصل (ينبغي) من قولهم: بغيت الشيء أبغيه، أي: طلبته، فابتغى لي ذلك الشيء؛ إن تسهل وحصل، كما تقول: كسرته فانكسر).[29]

وفي ((تفسير ابن عرفة)): (وما ينبغي له تعلمه، فهو –وإن قاله – فإنما قاله اتفاقياً من غير تعلم، وهذا مشاهد من أرباب الصنائع، أن الرامي قد يصيب الغرض في ابتداء تعلّمه اتفاقياً).[30]

وليس معنى نفي نظم الشعر عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يتمثل بقوله قطعاً؛ بل المراد أنه لا ينظم الشعر إنشاء من تلقاء نفسه، فقد ورد أنه تمثّل ببعض أبيات الشّعر الجاهلي، لكنه إذا تمثّل بيت شعر أجراه الله –سبحانه وتعالى– على لسانه منكسراً، فقد روي أنه كان يتمثل بقول العباس بن مرداس فيقول: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة[31]

ويتمثل بقول عبد بني الحسحاس يقول: كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً[32]

ويتكلم ببيت طَرَفَة بن العبد فيقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار[33]

فيعاد عليه موزوناً مستوياً فيقول صلى الله عليه وسلم: "إني لست بشاعر، ولا ينبغي لي".[34]

وهذا هو السر في عدم تسهل نظم الشّعر و قوله موزوناً على لسانه صلى الله عليه وسلم كما قال الله -سبحانه وتعالى-:﴿وما ينْبغي لَهُ﴾.

وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن تمثل النبي صلى الله عليه وسلم، فأنكرت إلا في بعض من الأبيات وحدانا أو طرفها، كمثل بيت أخي بن قيس ابن طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

قالت: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول:"يأتيك من لم تزود بالأخبار".

فقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: ليس هكذا يا رسول الله! فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لست بشاعر، ولا ينبغي لي".[35]

يقول أبو بكر الجصاص في هذه الظاهرة، بأن الله لم يعط رسوله صلى الله عليه وسلم العلم والفن بإنشاء الشعر، وكذلك لم يعلمه الشعر في نفسه؛ لأنه سبحانه وتعالى هو معطي هبة ذلك لمن يشاء من بين عباده، ولم يهبه للنبي صلى الله عليه وسلم كي لا يقع الالتباس ولم تدخل الشبهة على قوم حديث عهد بالإسلام فيما أتي من كلامه المجيد وبين الفطنة بالشعر، فعندما ثبت أن الله لم يعط الفطنة لإنشاد الشعر، فلم يقع المنع الإرشاد بالشعر وإنشاده بيتا أو بيتين، إلا أن هذا لم يثبت أنه قد تمثل بشعر غيره من وجه صحيح، أما الأقوال المروية في إنشاد شعر مثل:

هل أنت إلا أصبعٍ دميت وفي سبيل الله ما لقيت.

فالمروي فيه أن قائله ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل بعض من صحابته، وكذلك من المسلّم أن من أنشد شعرا للغير أو بيتا من القصيدة لم يمكن أن يسم بالشاعر ولا يطلق عليه اسم الشاعر.[36]

كما رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأراجيز كقوله:

((هل أنت إلا أصبع دميت))،[37] وقوله: ((لبيك إن العيش عيش الآخرة)).[38]

وقد ذكر الحافظ ابن حجر– رحمه الله – في شرحه لحديث: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"[39] قال: (قد أولت مقالته صلى الله عليه وسلم هذا الرجز بأجوبة:

أحدها: أنه نظمه غيره، فبدل وغير أصله، كان في الأصل: (أنت النبي لا كذب) مكان أنا، وكذلك (أنت ابن عبد المطلب) مكان ضمير المتكلم أنا، فذكره النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ (أنا) في الموضعين.

ثانيها: المردود هو الشعر وإنشاده من جديد، أما قوله هذا فهو رجز فقط ولا غير.

ثالثها: أنه قطعة ناقصة من البيت ولم يطلق عليه اسم الشعر، فمثل تلك الكلمات اليسيرة المتغيرة لن تطلق عليها اسم الشعر.

رابعها: أنه لم يقصد به الشعر بل خرج موزونا فقط، وهذا هو أعدل الأجوبة في هذه الظاهرة.[40]

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: (وإصابته صلى الله عليه وسلم الوزن أحياناً لا يوجب بأن يكون شعرا وهو يعلمه، وكذلك ما يأتي أحياناً من سجع نثر كلامه ما يدخل في قافية ووزن... فقد يأتي مثل ذلك السجع والقافية في الآيات القرآنية، وفي حديث مبارك أحياناً، فلم يدخل ذلك في الشعر ولا في معناه.[41]

وأيضا أجاب أبو جعفر النحاس بقوله: (وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

أنا النّبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطّلب

فتكلّم العلماء في هذا فقال بعض منهم: إنما هذه الرواية بالإعراب، فإن كانت بالإعراب لم تكن شعراً على الإطلاق؛ لأنه بتغيير الإعراب يخرج الشعر من الوزن والقافية المعتادة، كمثل فتح الباء في (كذب) من البيت الأول، أو بتنوينها أو بضمها، وكذلك من البيت الثاني كسر الباء من (المطلب)، وقد أنكر بعضهم في دخول هذا البيت تحت أوزان شعرية، حتى قال أبو جعفر: بأنه هذا مكابر العيان؛ وسببه رواية الخليل بن أحمد وغيره أشعار العرب على هذا المنوال، ومن الأحسن ما يروى عن أبي إسحاق في معنى قوله سبحانه وتعالى: (وما علمناه الشعر) أي: ما علمناه فن الشعر بأن يصير شاعراً وينشد الشعر، فليس هناك أي تناقض أو تضاد مع إنشاد الشعر لغيره، وهناك قول آخر عن إخبار الله سبحانه وتعالى في عدم تعليمه الشعر فقط، ولم يوجد إخبار في إنشاد الشعر، ولكن هذا ظاهر الكلام فقط ولم يرد به الجمهور، وهناك قول يزعم عليه أنه من مواضيع الإجماع بين أهل اللغة، وذلك القول يدل على عدم إطلاق الشعر على كل كلام موزون صدر من غير قصد من صاحبه، فهناك يوجد الموافقة بين ذلك الكلام وبين الشعر ولكن لم يطلق عليه اسم الشعر، وهذا قول يوضح ويبين مرادنا. [42]

ويقول أبو إسحاق الزجاج:(ولَيس يوجب هذا أن يكون النبي –ﷺ– لم يتمثل

ببيت شعرٍ قط؛ إنما يوجب هذا أن يكون النبي –عليه السلام– ليس بشاعرٍ، وأن يكون القرآن الذي أتىَ به من عند اللَّه؛ لأنه مباين لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العربَ، والقرآن آيةٌ معجزةٌ، تدلّ على أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وآياته ثابتةٌ أبداً). [43]

وفي تفسير الماتريدي: (نزل هذا –واللَّه أعلم– عند قولهم: إنه شاعر، وإنه كذاب؛ فأخبر أنه لم يعلمه الشعر، وما ينبغي له الشعر، تكذيبا لهم، وردًّا عليهم: أنه شاعر، وأن هذا القرآن شعر، جعل الله عجز رسوله عن القيام بإنشاد الشعر بعض آياته من آيات رسالته، كما جعل عجزه عن تلاوة

الكتاب من قبل وكتابته وخطه بيمينه آيةً من آيات رسالته؛ ليعلم أُولَئكَ الذين قذفوه بالشعر والافتراء من نفسه والكذب على اللَّه وبالسحر أنه إنما أخبر عن وحي عنَ الله، لا ما يقولون هم، وهم على يقين، وعلم: أنه ليس شاعرا ولا ساحرا ولا كذابا؛ لما لم يروه اختلف إلى أحد منهم في تعلم ذلك، ولًا كان عنده من كتبهم منها أخذ ذلك أولا أخذ عليه، كذب قطّ، لكنهم نسبوه إلى ما نسبوه من الشعر والسحر والكذب؛ تعنتا منهم وعنادا، يلبسون أمره بذلك على أتباعهم وسفلتهم؛ لئلا تذهب رياستهم ومنفعتهم....وقوله: (وما ينبغي لَهُ) أن يشتغل بشيء مما يتلهى به، والشعر – في الأصل– إنما جعل للتلهي به والتلذّذ؛ لذلكَ حيل بينه وبين طبعه إنشاد الشعر؛ ليكون أبدا مشتغلاً بما هو حكمةٌ وعلم، وفيما هو أمر اللَّه، لا بما فيه التّلهي واللّهو). [44]

قال الإمام ابن كثير: ((وما ينبغي له)) أي: فهو لا يحب الشعر ولا يحسن؛ لعدم اقتضاء طبيعته؛ ولهذا قد جاء فيه أنه صلى الله عليه وسلم كان لم يحفظ بيتاً أو بيتين على وزن منتظم، بل قد أنشد بزحفه وقد أنشد ولم يتمه.[45]

الحكمة في نفي صفة الشاعرية عن كلام الله– سبحانه وتعالى، وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

مراد الآيات الكريمة واضح من أن الله –سبحانه وتعالى– ينفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم صفة وصفها به المشركون وهي (الشاعرية)، كما ينفي الله –سبحانه وتعالى– أن يكون القرآن شعراً، حينما وصف المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر؛ لأنهم سمعوا منه مانزل عليه من الوحي، وكان وقع الوحي غريباً على نفوسهم، جالباً لانتباههم، سالباً لألبابهم، ذا تأثير أخَّاذ؛ فاحتاروا فيه، ودفعتهم حيرتهم إلى صرفه إلى ما ألفوه من أصناف الكلام المؤثّر في زمانهم وهو الشعر وسجع الكهان، ومن ثَم وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بالشاعرية تارةً وبالكهانة تارةً أخرى، وبالجنون أحياناً، فنفى الله –سبحانه وتعالى– ذلك عنه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما علمناه الشعر﴾[46] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾[47] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ۝ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ۝﴾[48] وغيرها من الآيات الكريمة.

وليس في هذه الآيات الكريمة حكم على الشعر بالمدح أو الذم، لكنها أثبتت أن كلام الله –سبحانه وتعالى– ليس شعراً، وأنّ المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس شاعراً.

والسبب في ذلك أن شعراء الجاهلية عرفوا بكذب القول، والإقبال على اللهو والملذات من معاقرة الخمر ومصاحبة النساء، والعيش في الأوهام والخيالات، والتعلق بالجن والأرواح الشيطانية؛ لاستمداد الطاقة منها،

واستنصار الشعراء لها للإلهام الشعري، وعدم الاتصاف بالجد وتحمل المسؤولية، وكل هذه الخلال تناقض صفة الرسالة والنبوة، وتحمل مسؤولية إصلاح المجتمع، والقيام بإعمار الأرض على وفق القانون الإلهي.

وذكر الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه (المزهر) الحكمة من ذلك قائلاً:

فإن سأل سائل: فما هو السبب وما هي الحكمة في تنزيه الله سبحانه وتعالى نبيه عن الشعر؟!

فأجيب له: كلام الله سبحانه وتعالى كله حكمة وموعظة، فالآية الشريفة تدل أن الشعراء متبعوهم الغاوون، ويهيمون في أودية الضلال والطغيان والغواية، ويتناقضون حسب قولهم وفعلهم، ثم استثنى الله سبحانه وتعالى أصحاب الإيمان وأهل العمل الصالح من بين الشعراء، ومن المسلم أنه نبي الله صلى الله عليه وسلم أفضل المؤمنين إيمانا وأحسنهم عملا وأكثرهم تضرعا وتعبدا، رغم ذلك لا ينبغي له الشعر وإيجاده، لأن للشعر شرائط لا بد من التبيع والخوض فيها وبغيرها لا يسمى أحد شاعرا.

ومن الشهير قول أحد العقلاء عندما سئل عن الشعر، فأجاب: الشاعر دائما بين حالتين الكذب والإضحاك، إن جد في القول كذب، وإن هزل في الكلام أضحك، ولا بد من تنزه الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن هاتين خصلتين، وكذلك من صفات الشاعر المدع الضارع والهجو القادح فهاتين الخصلتين الأخريين تعدان من دناءة الصفات بين المجتمع، ولا تصلح لنبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتصف بكل أمر دني وصفة قادحة، فنزه الله سبحانه وتعالى عن جميع الصفات الضارة بالنبوة، وتحلاه بالصفات المحمود والأخلاق الفاضلة.

فإن سأل أحد مؤيدا بقول النبي صلى الله عليه وسلم (وإن من الشّعْر لحكمة) أو قال صلى الله عليه وسلم: (حكْماً)![49]

فسجيب بأن الله سبحانه وتعالى قد نزه نبيه عن إيجاد الشعر، وإن في الشعر بعض من الحكم لا جلها، وقد أتاه الله سبحانه وتعالى أجزل الحكم وأوفرها في وحيه المتلو وغير المتلو من الكتاب والسنة الشريفة.

وهناك توجيه آخر في تنزيه الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن قيل الشعر: وهو إجماع أهل العروض على عدم التفريق في صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا أن الثاني توزيع الزمان بالنغم، والأول تقسيمه بالحروف المستقيمة، فلم يصلح الشعر وإيجاده لنبي الله صلى الله عليه وسلم بسبب دخول الإيقاع تحت أضرب الملاهي لدخول الشعر تحت ميزان يناسب الإيقاع. [50]

ويقول الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمة الله تعالى عليه: الكلام له أساليب بيانية وألوان الاستخدام مختلفة في الظواهر المختلفة من الطبيعة والجمال والحب، فوصف هذه الأوصاف الثلاثة يعد من باب

الأحلام، فلا بد من عين الشاعر ونظرة العاشق في بيانها ولا بد من موضع الخيال فيها، أما النبي فيوحى إليه والوحي أساسه الحقيقة والصدق فلا موضع للخيال فيه إلا ما يقوي شعورا إنساني للتمثيل فقط يقربه إلى الحقيقة ويؤيدها، كقوله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه"[51] والكون في نظر النبي صلى الله عليه وسلم آية الحكمة لا آية الفن، ومنظر المتيقّن لا منظر المتخيل، ومادة العبودية لله، لا مادة التألّه الإنساني). [52]

وكذلك في نفي شاعرية النبي صلى الله عليه وسلم، سمو المصدر القرآني وتوكيده، وبعده عن الخيال، والإندفاع عن العاطفة، وتجرده عن المبالغة والكذب، كما يصدر عن الشعراء في شعرهم، فالقرآن هو كلام الله وذكره لفت الأنظار واتجه الأسماع تجاه ومصده الصدق والحقيقة، ويدل على الهدى والطريق المستقيم بالموعظة الحسنة، فيدعو إلى عبادة الله بأسلوبه البليغ، يتضمن على أسمى أسس الخير والأخلاق الفاضلة وصلاح الدنيا والآخرة، يشتمل على الإنذار والتبشير، فيه تنافس في أعمال خيرية، يتحرر الإنسان في حياته اليومية كي يرتقي على مدارج الكمال في الخلق والاجتماع، وهذه هي الخصال تعد من بين مهمات الرسالة الربانية ونبوته التشريعية ومظاهرهما وأعلامهما، فلم نجد فيه شيء يمت إلى الشعر والشعراء. [53]

يقول ابن رشيق: قد أعجز القرآن على كونه معجزة بين ظهراني العرب الشعراء والخطباء، ففي العرب أشهر الشعراء والخطباء ورغم ذلك قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن آية أو آيتين، وكانوا غالبين في حياتهم مغلوبين أمام معجزة قرآنية، فبعد المحاولات الكثيرة والتدبرات الشتة وأفكار متفرقة قالوا: إنه هو الشاعر، لهيبة الشعر في قولبهم وفخامته لديهم، والكلام المنثور لا يلحق به، فأعلن الله سبحانه وتعالى: ﴿وما علمناه الشعر، وما ينبغي له﴾ حجة الله سبحانه وتعالى عليهم بأن صفته كونه غير شاعر غض من الشعر والشعراء، فعلى الجانب الآخر أميته صلى الله عليه وسلم غض من النثر والكتابة، وهذا جلي واضح لا يمكن الإخفاء على أحد. [54]

ويجيب الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن علة منعه صلى الله عليه وسلم من الشعر، فالمنع من الشعر غير متعلق بكونه كلاما فصلا وقولا جزلا ومنطقا بينا وبيانا حسنا، كيف يمكن ذلك؟! لا مستفاد من هذا المنع أن الله حدد لنبيه صلى الله عليه وسلم حدودا تمنعه عن وصوله إلى البيان والبلاغة والفصاحة، وترده عن وصول أساليب تتعلق بحسن العبارة وشرف الكلمة واللفظ، وهذا جهل قادح، وخلاف لإجماع البلغاء بأنه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب بيانا وقولا ومنطقا. [55]

ويضيف قائلا: فلو ننظر إلى المنع ونقول أن المنع للتنزية والكراهة، فإذا لا بد من المنع في سماع الشعر وكلام منظوم، لكن نجد خلاف ذلك، لأنه كان صلى الله عليه وسلم يحث على ذلك ويأمر به بل يثبت تأييد روح القدس فيه ويجلس شاعره على منبره حتى يفدي بأبويه عليه.

فإن الأمر الثابت كذلك، فالمنع في الآية الكريمة ليس للتنزية والكراهة، بل يبدي أن سبيل الوزن في منع النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر سبيل الخط، عندما جعل صلى الله عليه وسلم غير كاتب ولا قارئ، بل المنع هو حجة كائنة باهرة وقاهرة، ودلالة قوية وظاهرة. (56)

وكذلك المقال الشهير بين الخليفة المأمون وأبي على المنقري، عندما أشار إلى أميته وإلى عدم إلحان الشعر وإلى اللحن في الكلام، فشبه أبو علي المنقري نفسه بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأمية وعدم قول الشعر واعتذر بسبقة اللسان في اللحن، فرد عليه المأمون وشتمه بالجهل فكأنه أشار إلى ثلاث خصال مذمومة وزاد الصفة الرابعة بنفسه وهو الجهل، ثم وضح له بأن الأمية وعدم إنشاد الشعر كانا من بين أوصاف النبوة وذم لمثلك من العامة، وأيد بقوله سبحانه وتعالى:

قال الخليفة المأمون لأبي علي المنقري: بلغني أنك أميّ، وأنك لا تقيم الشعر، وأنك تلحن في كلامك.فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان النبي أميًّا، وكان لا ينشد الشعر. ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.(57)

الموضعَ الرابع: قول الله – سبحانه وتعالى-: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۞ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۞﴾(58)

يبين أبو منصور الماتريدي العلة في تسمية الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم شاعراً فيقول:

(وكذا كانت عادة أُولَئِكَ أنهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها إلى السحر، والأنباء المتقدمة إلى الكهانة، وخلافَ الرسل – عليهم السلام- لقادتهم وفراعنتهم إلى الجنون، والكلام المستملح والنظم الجيد إلى الشعر؛ تلبيساً للأمر على أتباعهم، هذه كانت عادتهم، مع العلم منهم أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك، ولا اختلف إلى أحد من الكهان ولا السحرة، ولا كان القرآن على نظم الشعر؛ إذ عجزوا عن إتيان مثله، وهم عن الشعر غير عاجزين).(59)

ويبين الفخر الرازي سبب قول المشركين {نتربص به ريب المنون} فيقول: (العرب كانت تحترز عن إيذاء الشعراء وتتقي ألسنتهم، فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون، وقالوا: لا نعارضه في الحال

مخافة أن يغلبنا بقوة شعره، وإنما سبيلنا الصبر وتربص موته). [60]

ولاشكّ أن كفار قريش كانوا من أفصح العرب، مدركين تمام الإدراك أن القرآن الكريم ليس شعراً، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس شاعراً، ولو كان شاعراً وما يتلوه شعراً؛ لعارضته الشعراء، ونقضوا أقواله بأشعارهم، إذن فلم اتهمه المشركون بأنه شاعر؟!

يبين أبو حيان العلة لذلك بقوله: كان مشركي مكة تمالؤوا مع الذين لا يدركون الشعر ولا يعرفون التاقض بين الشعر وبين كلام الله سبحانه وتعالى عناداً وجحداً للوحي المنزل وآياته، مع أن فيهم شعراء ويعرفون أساليب الشعر وأوزانه وقوافيه. [61]

قال الإمام المرزوقي: قد تأخر الشعراء عن البلغاء والخطباء في المجتمع العربي؛ لتأخر الكلام المنظوم المقفى عند العرب؛ لأن ملوك العرب منذ الزمن القديمة وبعد مجيء الإسلام يتبجحون بألوان الخطابة ويعدونها أكمل أسباب الرياسة، ويعدون الكلام المنظوم المقفى دناءةً، ولأن الشعر كان مكسبةَ وتجارةً، وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم، ومما يدلّ على شرف النثر على الشعر؛ لأن الإعجاز وقع في النثر دون الشعر؛ لأن زمن النبي–عليه السلام– زمن الفصاحة... فإن قلت: فإذا كان الإعجاز واقعاً في النثر؛ فكيف قالوا في حق القرآن: شعر؟! وفي حقه –صلى الله عليه وسلم–: شاعر؟!

قلت: ظنوا أنه –صلى الله عليه وسلم– كان يرجو الأجر على التبليغ، ولذا؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[62] فكان –صلى الله عليه وسلم– عندهم بمنزلة الشاعر، حيث ان الشاعر إنما يستجلَبَ بشعرِه –في الأغلب– المال، وأيضاً لَما كانوا يعدّون الشعر دناءةً؛ حملوا القرآن عليه، ومرادهم عدم الاعتداد به.

فإن قلت: كيف كانوا يعدّون الشعر دناءةً؟! وقد اشتهر افتخارهم بالقصائد حتى كانوا يعلقونها على جدار الكعبة؟!

قلت: كان ذلك من كمال عنادهم، أو جرياً على مسلك أهل الخطابة من الأوائل). [63]

الموضع الخامس: قول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾[64]

يقولَ محمَد الطاهرَ بن عاشور: (نفَي كوَن القرآن قولَ شاعر بديهيٌّ؛ إذَ ليسَ فيه ماَ يشبه الشعر، من: اتزان أجزائه في المتحرك، والساكن، والتقفية المتماثلة في جميع أواخر الأجزاء، فادعاؤهم أنه قول

شاعرٍ بهتانٍ متعمدٍ، ينادي على أنهم لا يرجى إيمانهم). (65)

ويصور الأديب المفسر الأستاذ/ سيد قطب معنى الآيات بكلمات رائعة:

قول المشركين عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القرآن الكريم بأنَّه الشاعر والقرآن شعر، بأنه كاهن والقرآن كهانة، بسبب تأثر وشبهة سطحية، قد نشأ هذا القول في نفوسهم لأن القرآن الكريم فائق على كل كلام البشر، والشاعر —حسب زعمهم– مؤيد من الجن أو الشيطان، وهذا هو نفس الحال للكاهن يأتي بأخبار المستقبل، فعلمهم يمد إلى ما وراء الحال والواقع، لكن مع سوء حظهم لم يكونوا يتدبرون في مضمون كلام الله وأسلوبه ومعانيه، فسيكشف لهم الغطاء ويجلو لهم الحقيقة بعد تدبر بسيط في طبيعة القرآن وفي طبيعة الشعر والكهانة، فهناك فارق أساسي فاصل بين القرآن والشعر، وإن كان الشعر قد يصدر بموسيقي الإيقاع، وحسن الصور والظلال، لكن لم يكن يختلط مع القرآن الكريم.

فكلام الله يحيط بكل جوانب الحياة الإنسانية، وهو منهج كامل ومتكامل للأسس والمبادئ الإنسانية والحياة الإنساني، ويقوم على الحق الثابت ومع الحق، وعلى نظرة موحدة.

أما الشعر لم نجد فيه تلك الصفات العالية؛ بل يتضمن على الانفعالات المتوالية، والعواطف السطحية الجياشة، ولم يصدر بنظرة واحدة حتى في الانفعالات بل تتغير وجهة النظر من شخص إلى شخص ومن قضية إلى قضية، فالتأثرات في الشعر تتغير حسب الزمان والمكان والمقتضى والمقتضي.

فالقرآن الكريم يقوم بالمبادئ والأسس فأنشأ تصورا ثابتا —في الكليات والجزئيات– يثبت ويقرر بأنه ليس من عمل البشر؛ لأن ليس في وسع البشر أن ينشأ تصورا كونيا كاملا وفكرا عالميا الذي لم يسبق نظيره ومثيله، فالقرآن الكريم متفرد بطابع معين من التصور يميزه من غيره، وإن كان هناك بعض من التصورات المنشئة في الطابع الفلسفية؛ لكن تلك كلها ناقصة وقاصرة في ظاهرة تصور كوني، فإنها إما للزمان الخاص أو للمكان المخصوص، وكذلك كلها تختص بوجهة معينة من الفكر الإنساني وتدبره؛ لأن عقل الإنسان وفكره له حد ونهاية. (66)

قال الإمام أبو محمَّد بن قُدامة: بعد أن أثبت الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن المنزل من عنده ونفى عنه كونه الشعر، فلم يبق لدى ذوي الألباب شبهة في كون الفرقان الحميد كتاباً عربياً من عند الله المكون من الكلمات والحروف والآيات؛ فلن يقول أحد بأنه هو الشعر. (67)

الموضع السادس: قول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ (68)

المراد بالقائل هنا في الآية: ﴿أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ قبيلة قريش التي كانت تتهم النبي صلى الله عليه وسلم بكونه شاعرا مجنونا، فرد الله -سبحانه وتعالى- عليهم بأن ليس الأمر كما قالوا من أنه شاعر، ﴿بل جاء بالْحَقِّ﴾ من الله -سبحانه وتعالى- وهو مصداق لمن سبقه من الأنبياء والرسل المتقدمين، كموسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم - عليهم الصلاة والسلام-.

ويقول أبو حيان: (وقولهم ﴿لشاعر مجنون﴾: هناك تخليط واضح وارتباك جلي في غيهم وظغيانهم وغوايتهم، بل هناك تضاد وتناقض في استخدام الكلمات المتناقضة المتضادة، لأن من اتصف بالجنون —سواء كان طارئا أو دائما- لا يمكننه أن يصل إلى تلك المعاني العميقة، والكلمات البديعية، حتى لا يستطع إلى يفوز بمبادئ الفهم والحذق وجود الإدراك الذي قام به الشاعر أو فاز في نظم كلماته في سلك الشعر. (69)

(الهوامش References)

(1) سورة يس، 69/36.

(2) اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بها في شهر شوّال من كل سنة ويتفاخرون فيها، ويحضرها شعرًاؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، وله ذكر في السيرة النبوية، فقد روي أن النبي ﷺ كان في بدء الدعوة يوافي الموسم بسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة، ويتتبع القبائل في رحالها وروي أنه استمع إلى قس بن ساعدة في سوق عكاظ، وكان هذا السوق في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة الحوية اليوم، شمال شرق الطائف، على مسافة خمسة وثلاثين كيلا في أسفل وادي شرب وأسفل وادي العرج عندما يلتقيان هناك.

انظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، 199/1.

(3) سوقٌ جاهليةٌ، قال ياقوت: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب، عن يمين الإمام، على فرسخٍ من عرفة. انظر: المرجع نفسه، 239/1.

(4) اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي العقدة، والعشرين منه قبلها سوق عكاظ، وبعد مجنة سوق ذي المجاز، ثمانية أيام من ذي الحجة، ثم يعرفون في التاسع إلى عرفة. وكانت مجنة بمر الظهران قرب جبل، يقال له: الأصفر بأسفل مكة، على قدر بريد منها. انظر: المرجع نفسه، 240/1.

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 395/5. والبحر المحيط في التفسير، 329/10. والدر المنثور، 98/5.

(6) المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، 338/7.

(7) سورة الأنبياء، 5/21.

(8) في ظلال القرآن، 2368/4.

(9) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 74/4.

(10) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 103/3.

(11) معالم التنزيل (مختصر تفسير البغوي)، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، 310/5.

(12) تفسير الإمام ابن عرفة، 159/3.

(13) صحيح البخاري، برقم: 3288، وعمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير، 733/2.

(14) دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ، ص: 160.

(15) المرجع نفسه، ص: 161.

(16) صحيح البخاري، برقم: 2864، صحيح مسلم، برقم: 1776.

(17) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 537/1.

(18) سورة الشعراء، 224/26-227.

(19) صفوة التفاسير، 774/2.

(20) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 18/19.

(21) الكشاف، 343/3.

(22) معالم التنزيل، 135/6.

(23) المرجع نفسه، 136/6.

(24) صفوة التفاسير، 663/2.

(25) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، ص: 2727.

(26) معاني القرآن، الفراء، 2/ 285.

(27) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 538/24.

(28) سورة يس، 69/36-70.

(29) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، 517/18.

(30) تفسيرَ ابن عَرفة، 356/3.

(31) البيت من المتقارب وصحته: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع. والعبيد اسم فرس لعباس بن مرداس، والشاعر: أبو الهيثم العباس بن مرداس السُّلَمي أسلم قبل الفتح، وشهد حنيناً، وكان من المؤلَّفة قلوبهم، مات في خلافة عمر η سنة (18هـ). انظر: ديوان العباس بن مرداس، ص: 84.

(32) البيت من الطويل، وصحته: عميرة ودع إن تجهزت غازيا ... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

(33) البيت من الطويل، وصحته: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(34) مسند الإمام أحمد، 31/6، 146. سنن الترمذي، برقم: 3006.

(35) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر البيهقي، 181/5. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 19/23.

(36) أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، 5/ 250.

(37) صحيح البخاري، برقم: 2648، 5794، وصحيح مسلم، برقم: 1796، كلاهما من حديث جندب بن سفيان.

(38) صحيح البخاري، برقم: 2679، 2801، 6050، 6051. وصحيح مسلم، يرقم: 1804.

(39) انظر الهامش رقم: 16.

(40) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، 38/8.

(41) الجامع لأحكام القرآن، 52/15.

(42) إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، 273/3.

(43) معاني القرآن، أبو إسحاق الزجاج، 293/4.

(44) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، 536/8.

(45) تفسير القرآن العظيم، عبد الملك بن قاسم، 588/6.

(46) سورة يس، 69/36.

(47) سورة الطور، 29/52.

(48) سورة الحاقة، 41/69-42.

(49) صحيح البخاري، 10 /202، والموطأ، 986/2، وسنن أبي داود رقم: 5007، وسنن الترمذي برقم: 2029.

(50) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 398/2-399.

(51) صحيح البخاري، برقم: 6308.

(52) وحي القلم، 2/ 25.

(53) التفسير الحديث، محمد عزت عبد الهادي دروزة، 40/3.

(54) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 21/1.

(55) دلائل الإعجاز، 25/1.

(56) المرجع نفسه، ص: 26-27.

(57) أمالي ابن الشجري، 130/1.

(58) سورة الطور، 29/52-31.

(59) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، 408/9.

(60) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 212/22.

(61) البحر المحيط في التفسير، 574/9.

(62) سورة الفرقان، 25/ 57. وسورة ص: 38/ 86.

(63) روح البيان، 200/9.

(64) سورة الحاقة، 40/69-43.

(65) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، 29/ 143.

(66) في ظلال القرآن، 3686/6.

(67) لمعة الاعتقاد، ص: 17.

(68) سورة الصافات، 36/37-37.

(69) البحر المحيط في التفسير، 99/9.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

1- أحكام القرآن، الجصاص، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 1405هـ.

2- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1421،1هـ.

3- أمالي ابن الشجري، تحقيق: د/محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ-1991م.

4- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق:صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، 1420هـ.

5- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر-تونس، 1984م.

6- تفسير الإمام ابن عرفة، أبو عبد الله ابن عرفة التونسي المالكي، المحقق: د/حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية-تونس، ط1، 1986 م.

7- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز محمد الخليفة، مكتبة الرشد، 1996م.

8- التفسير البسيط، أبو الحسن الواحدي، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.

9- التفسير الحديث، محمد عزت عبد الهادي دروزة، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، 1383هـ.

10- تفسير القرآن العظيم، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، ط/ 1، 1430 هـ - 2009 م.

11- تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي،المحقق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005 م.

12- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير ابن جرير الطبري، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

13- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط/ 1، 1422هـ.

14- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر-بيروت.

15- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، المحقق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، ط1، د، ت.

16- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ 1 - 1405 هـ.

17- دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن خليل إبراهيم، الشركة الوطنية- الجزائر، 1971م.

18- ديوان العباس بن مرداس، العباس بن مرداس السلمي، تح: د. يحي الجبوري، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية – بغداد، ط/ 1، 1388 هـ - 1968 م.
19- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء ، الناشر: دار الفكر – بيروت، د، ت.
20- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د، ت.
21- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط/ 2، 1395 هـ - 1975 م.
22- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د، ت.
23- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني-القاهرة، ط1، 1417هـ-1997 م
24- عمدة التفاسير، ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، تح: أحمد بن محمد الشاكر، دار الوفاء- بيروت، ط/ 2، 1426 هـ - 2005 م.
25- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401 هـ - 1981م.
26- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ.
27- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق-بيروت-القاهرة، ط17، 1412هـ.
28- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ 3 - 1407 هـ.
29- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي الكفوي، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت.
30- لمعة الاعتقاد، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ-2000م.
31- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1422هـ.
32- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م.
33- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط/ 1، 1416 هـ - 1995 م.

34- المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر، دار التاج – بيروت، ط/ 1، 1409 هـ - 1989 م.
35- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شَرَّاب، دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، ط1411،1هـ.
36- معالم التنزيل (مختصر تفسير البغوي)، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط/ 1، 1416هـ.
37- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط/ 1، 1408 هـ - 1988 م.
38- معاني القرآن، الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر، ط1، د، ت.
39- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ 3 - 1420 هـ.
40- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، ط/ 1، 1425 هـ - 2004 م.
41- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ-2000م.